

التربية السلوكية والهدي النبوي المبارك

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وبعد؛
لا شك أن دعوة النبي المصطفى ﷺ كانت بالأخلاق، ولتهذيب الأخلاق، كما قال
ﷺ عن نفسه، **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ وَفِي رِوَايَةٍ (صَالِح) الْأَخْلَاقِ** (أحمد)
ولما كان القرآن هو المحرك وهو المنهاج والنبراس والدستور الذي تأسى به سيدنا
رسول الله ﷺ، فكان يعمل به، ويتحلى به في قوله وفعله، وحركاته وسكناته، وعن
أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: **"كان
خلقه القرآن"** (أحمد)

أي أن النبي ﷺ، كان المثال والنموذج لتطبيق تعاليم القرآن تطبيقاً حرفياً، فلا
يتكلم إلا بالقرآن، يترك اللغو، ويأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين،
ولما نزل قول الله تعالى: **{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }** قال
جبريل: يا محمد، أتيتك بمكارم الأخلاق! قال: وما هي؟ قال: **«أن تعفو عن من
ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعرض عمن جهل عليك، وتحن
لمن أساء إليك»** (انظر البخاري والبيهقي) لما دخل المدينة، قال: **«يا أيها الناس،
أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا
الجنة بسلام»** (الحاكم والطبراني) وكان ﷺ وقافاً عند حدود الله لا يتحرك لسانه إلا
برضا الله، يغضب لغضب القرآن ويرضى لرضاه، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ
- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ **«لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَاحِشًا وَلَا
مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»** .

وهو القائل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ **«مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ»** قَالَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثٌ
حَسَنٌ صَحِيحٌ وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ لَهُ **«وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ**

الصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ . وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَهَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ عَنْ أَبِي أَمَامَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ» وعن أنس قال خدمت رسول الله - ﷺ - عَشْرَ سِنِينَ، فما قال لي أَفَّ قَطْ، ولا قال لشيءٍ فعلته: لم فعلته، ولا لشيءٍ لم أفعله ألا فعلته؟ وكان - ﷺ - أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، ولا مسستُ خزا ولا حريًّا ولا شيئًا كان أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، ولا شَمَمْتُ مِسْكَ ولا عِطْرًا كان أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ .

قال بعضهم: من تخلى تحلى ، ومن تحلى تولى ، ومن تولى تدلى ، ومن تدلى تجلى ، ومن تجلى تعلّى ، ومن تعلّى شاهد ، ومن شاهد تحقق ، ومن تحقق تخلق ، ومن تخلق فاز بسعادة الأبد والبقاء السرمد.

من تخلى عن أخلاق الغضب والشر ونزاعات الشيطان ونزغته، تحلى بحسن الخلق، ومن تحلى بحسن الأخلاق، صارت له الولاية، ألم تر إلى قول الله ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ (الأعراف)

ومن تولى تدلى، وقرب ودنا من معرفة الحق ومن عرف الحق يخشاه،

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور)، ومن تدلى تجلى، أي تجلت له الحقيقة ورأى ربه بعين قلبه، وعرف ربه، ومن عرف ربه لم يضره وسوسة شياطين الإنس والجن، ولن يضره أي مكروه أو سوء، ومن تجلى وتكشفت له الحجب وعرف ربه بعين قلبه، تعلّى فصار في مرتبة الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، يقول الله:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس)

ومن تعلّى شاهد أنوار الله وجلاله، كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، ومن شاهد، تحقق وتمكن الإيمان في قلبه وذاق طعمه، كما يتذوق العسل المصفى، ومن تحقق تخلق بأخلاق سيد الخلق، فتلبسها فلا تنفك عنها لا تفارقه

ولا يفارقه، فيلازمها كما يلزم الروح الجسد، لا تنفك عنه إلا حين صعود روحه، حينها، يفوز بالسعادة أقرأ قول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم)

التربية العملية وأثرها

من أقوال ابن مسعود رضي الله عنه (**إنما العلم بالتعلم**) ولدينا ما يعرف بالمحاكاة، وفي كليات التربية، وفي أقسام الجامعات في العالم هناك ما يعرف بالتربية السلوكية، أو التربية العلمية، وهي في الأصل منهج إسلامي أصيل، قام به الحبيب المصطفى ﷺ، وعلمه الصحابة الكرام، فكان رسول الله ﷺ أول ما يطبق على نفسه، ولنا فيه ﷺ الأسوة الحسنة، وكانت أخلاق المصطفى ﷺ تلخص في كلمتين (**التخلي عن كل دني والتخلي بكل سني**) كانت تطبيقا عمليا للقرآن الكريم، في قومه ونومه ﷺ.

يقول بعض العارفين: صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى ، ولا يصح مشروط بدون شرط . "وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ " فلزم تحقيق الإيمان.

ولا شك أن المحاكاة والسلوك، لهما بالغ الأثر في التوجيه والإرشاد، وهناك ما يعرف بالسلوك المكتسب، وهو ما يتعلمه المتعلم أو الطالب أو الطفل من محيط بيئته، وقد عبر عنه الشاعر بقوله:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الْفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوْدُهُ أَبَوُهُ -- وَمَا دَانَ الْفَتَى بِحِجَى وَلَكِنْ يُعَلِّمُهُ
التَّدِينُ أَقْرَبُوهُ

وعلى ضوء ما ذكر في قضية السلوك العملي، رأينا كيف أن النبي ﷺ يحمل التراب على كتفه الشريف، في رسالة علمية تطبيقية، في حفر الخندق، وفي بناء المسجد النبوي الشريف، ولذا حفز الصحابة رضوان الله عليهم وهرعوا ينشدون ويرجزون

بقولهم لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل لا عيش إلا عيش الآخرة ،
اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة.

وفي بيان أنه لا أحد فوق الشرع وفوق القانون الذى حدده ووضعه الحق سبحانه،
وشرعه المصطفى ﷺ ولا استثناءات حيث يقول ﷺ في قاعدة أصولية وسلوكية
عظيمة، عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - « أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَخْرُومَةِ الَّتِي
سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ
يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَكَلَّمَهُ
أُسَامَةُ، فَقَالَ: أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنْهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ
أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِيمُ اللَّهِ: لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا .

وَفِي لَفْظٍ « كَانَتْ امْرَأَةٌ تَسْتَعِيرُ الْمَتَاعَ وَتَجَحِّدُهُ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
- بِقَطْعِ يَدِهَا . وهذا سلوك من الحبيب المصطفى ﷺ في تطبيق الحدود حتى
يتورع كل من تسول له نفسه بعمل الكبيرة، ولذا قالوا إِنَّ اللَّهَ لَيَرْعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا
يَرْعُ بِالْقُرْآنِ

نموذج آخر:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَتُّ ذَاتِ لَيْلَةٍ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، « فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يُصَلِّي مُتَطَوِّعًا مِنَ اللَّيْلِ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْقُرْبَةِ، فَتَوَضَّأَ،
فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ لَمَّا رَأَيْتُهُ صَنَعَ ذَلِكَ فَتَوَضَّأْتُ مِنَ الْقُرْبَةِ، ثُمَّ قُمْتُ إِلَى شِقِّهِ
الْأَيْسَرِ، فَأَخَذَ بِيَدِي مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ يَعِدْلُنِي كَذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ إِلَى الشَّقِّ الْأَيْمَنِ .
قُلْتُ: أَفِي التَّطَوُّعِ كَانَ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ (صحيح مسلم)

وهذا يبين مسألة السلوك وأثرها في نفس ابن عباس وأنس بن مالك والغلمان
والشباب من الصحابة رضوان الله عليهم الذين ترك فيهم المصطفى صلى الله
عليه وسلم أبلغ الأثر .

المنهج الإسلامي في ضبط السلوك ما بين التحلي والتخلي

لا شك إن مسألة السلوك والتربية وغرس القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة في النشء والطلاب، من أسمى مقاصد الشريعة، من خلال تحليتهم بمكارم الأخلاق وتشريه للعادات الحسنة والسلوك القويمة من خلال والديه وشيخه وأستاذه، فإن رآه يصلى كل وقت في موعده حتما سيتحلى بهذا، إن رآه حريصا على رد الأمانات إلى أهلها، يتحلى بالصدق والأمانة والعفة، وجميل القول، والمعشر، حتما سينعكس عليه هذا.

فأطفالنا خصوصا وطلابنا عموما في مراحلهم الأولى كالصفحات البيضاء، ونحن من ينقش فيها، ويكتب بها، ويصب عليها سلوكياته وفعاله، والتحلية من أهم مراحل التعليم والتربية السلوكية، حيث إنها بمثابة الغرس والزرع، وقد كان النبي المختار ﷺ، شديد الحرص على تلك المرحلة، شديد العناية بالنشء يغرس فيهم القيم والعقيدة الصحية، يجمعهم النبي ﷺ حوله، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَنَحْنُ فِثْيَانُ حَزَاوِرَةَ، فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ، فَازْدَدْنَا بِهِ إِيمَانًا** (ابن ماجه بسند صحيح)

كما كان النبي ﷺ شديد الاهتمام بالجانب النفسي للطفل فهو القائل لابن عباس في الحديث الشريف يا غلام ألا أعلمك كلمات.. بعدما أردفه بغلته ﷺ وأدناه منه!

وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُؤْتِي بِأَوَّلِ الثَّمَرِ، فَيَقُولُ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَفِي ثِمَارِنَا، وَفِي مُدَّنَا، وَفِي صَاعِنَا بَرَكَهً مَعَ بَرَكَهٍ»**، ثُمَّ يُعْطِيهِ أَصْغَرَ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْوُلَدَانِ (صحيح مسلم)

يقول الإمام النووي رحمه الله رضي عنه عند شرحه لهذا الحديث فِيهِ بَيَانٌ مَا كَانَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَكَمَالِ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ وَمُلَاطَفَةِ الْكِبَارِ وَالصَّغَارِ وَخَصَّ بِهَذَا الصَّغِيرَ لِكَوْنِهِ أَرْغَبَ فِيهِ وَأَكْثَرَ تَطَلُّعًا إِلَيْهِ وَحِرْصًا عَلَيْهِ

وكان من هديه ﷺ الملاطفة وحب الأطفال والهش والبش لهم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: **خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أَكَلِمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، حَتَّى آتَى خِבَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَنْتُمْ**

لُكِعَ؟ أَتَمَّ لُكِعَ؟» يَعْنِي حَسَنًا فَظَنْنَا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَن تَغْسَلَهُ وَتُلْبِسَهُ سَخَابًا، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى، حَتَّى اعْتَنَقَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ» (الشيخان)

وفي هذا الحديث بيان لحب سيدنا رسول الله ﷺ بالريحانتين الحسنين كما أن فيه جواز إلباس الطفل أجمل الثياب واستحسان القلائد للأطفال وغيرها من الفوائد العديد في هذا الحديث الشريف.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاحُ»، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ (البخاري) وهذا من عظيم لطفه ومن باب جبر الخاطر، وحسن السلوك والتربية العملية التي مارسها النبي ﷺ مع صحابته الكرام.

موقف آخر يكشفه أحد أصحاب النبي ﷺ وهو سيدنا أنس خادم النبي ﷺ يكشف لنا كيف كان تأثيره وحبه الواضح لسيدنا رسول الله ﷺ حيث يقول:

إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُبْزًا وَمَرَقًا، فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَتَتَبَعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالِي الْقُصْعَةِ»، قَالَ: «فَلَمْ أَرَلْ أَحَبُّ الدُّبَّاءِ مِنْ يَوْمِئِذٍ» (متفق عليه)

أما التخليّة، فهي أن تحاول بكل الطرق والوسائل أن تجنب المريد والطالب والطفل، كل مواطن الزلل وأن تتعامل معه بلطف وهذا منهج الحبيب المصطفى ﷺ فهذا سيدنا عمر بن أبي سلمه وكان غلاما في حجر سيدنا رسول الله ﷺ أراد النبي ﷺ أن يعلمه شيئا وأن ينهاه عن فعل غير محمود يقول عن نفسه: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُنْ بِيَمِينِكَ، وَكُنْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زِلْتُ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. (الشيخان)

التصحيح المباشر وعدم الاستمرار في الخطأ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: بِتُّ فِي بَيْتِ خَالَتِي مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رُوحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهَا فِي لَيْلَتِهَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ نَامَ، ثُمَّ قَامَ، ثُمَّ قَالَ: «نَامَ الْغُلَيْمُ» أَوْ كَلِمَةً تُشَبِّهُهَا، ثُمَّ قَامَ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَصَلَّى خَمْسَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ نَامَ، حَتَّى سَمِعْتُ غَطِيطَهُ أَوْ خَطِيطَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ (البخاري) فصَحَّحَ النبي ﷺ لابن عباس فوراً ولم ينتظر أن يفرغ من الصلاة في لطف وحسن أدب.

الإرشاد بطلب وتبيين الخطأ من الصواب.

عَنِ الرُّبَيْعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ بُنَيَّ عَلِيٍّ، فَجَلَسَ عَلَيَّ فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، وَجَوَازِيَاتُ يَضْرِبْنَ بِالْدَّفِّ، يَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبَائِهِنَّ يَوْمَ بَدْرٍ، حَتَّى قَالَتْ جَارِيَةٌ: وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولِي هَكَذَا وَقُولِي مَا كُنْتَ تَقُولِينَ» (صحيح البخاري)

كَانَ يَقُلُّنَ نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبَّأَ مُحَمَّدٌ مِنْ جَارٍ وَفِيهِ جَوَازُ الضَّرْبِ بِالْدَّفِّ وَالْغَنَاءُ الْمُبَاحُ وَهُوَ بَابٌ يَطُولُ فِيهِ الْحَدِيثُ.

وفي حادثة المهاجري والأنصاري يضرب النبي ﷺ أروع المثل في التربية السليمة والسلوك القويم يقول سيدنا جابر: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا، فَعَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: مَا بَالُ دَعَايَ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ؟! ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ؟ فَأَخْبَرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؟ لَيْسَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ. (البخاري)

وفي الختام أقول:

إن المؤمن هو ما طابق قوله فعله، وحاله مقاله، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، إن الإسلام قد انتشر في شرق آسيا وفي الملايو والهند وأصقاع أوربا بلسان الحال لا بالمقال وحده، وإن هؤلاء الذين احتكوا أو شاهدوا أو عاشوا شخصاً أو مجموعة من المسلمين من التجار والعلماء والدعاة، فتأثروا بأخلاقهم وما يحملون من مثل وقيم وخصال حميدة، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أن السلوك العملي والفعل الخارجي له الفضل الأكبر على اقتناع الآخرين بالمبادئ وجذبهم إليها، فالنظريات والمبادئ على صحتها وتكامليتها قد لا تحفز الآخرين للأخذ بها ما لم تكن مصحوبة بواقع عملي ملموس يعطي صورة نقية عنها، فالقول لن يجدي حتى يتصل بالفعل، والشرف عند الله سبحانه بحسن الأعمال لا بحسن الأقوال، وإيقاع العمل أقوى وأشدّ تأثيراً على قلوب الآخرين.

فما أقبح أن يكون الداعية والخطيب الذي يحاضر الناس في المروءة وحسن الخلق، أكثر الناس آذى لأهل بيته، وأقلهم صبراً على جيرانه، وأشهرهم سمعة بلا مروءته! وهذه قاصمة لمصداقية خطبه ومحاضراته.

فكيف يمكن لإنسان في مقام النصيح أو الأمر أن ينهى عن الشر وربما نزه نفسه عنه، وهو غارق فيه أو متلوث ومتصف به! قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ويقول سبحانه حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾

ولله در القائل:

يا أيُّها الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ -- هَلَا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَا -- كَيْمَا يَصَحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَتَرَاكَ تُصَلِّحُ بِالرِّشَادِ عُقُولَنَا -- أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرِّشَادِ عَدِيمٌ
فَأَبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غَيِّهَا -- فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيَهْتَدِي -- بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ

لَا تَنْهَ عَن خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ -- عَارُ عَلَيَّكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ومن أداب العالم إجمالاً كما حكى مشايخنا:

- ١- تقوى الله عز وجل وحسن الأدب والتخلق بخلق الصالحين والمرسلين
 - ٢- التواضع وترك العجب والرياء والسمعة وأن يكون عمله خالصاً لله
 - ٣- لزوم الحلم والوقار والهيبة واحترام المتعلم وخفض الجناح له
 - ٤- بسط الوجه واللين والتوجيه بلطف وأدب
 - ٥- احترام المخالف وعدم التعريض أو التجريح إلا في باب التعليم دون التعريض بالشخص وإنما يكون النقد للفكر والطرح
 - ٦- أخذ المتعلم بالحلم واللين والتأني بالمتعجرف والصبر على الضعيف وحسن التوجيه بالتحلي والتخلي والتثبيت
 - ٧- ألا يكلف طلابه ما لا يطيقون وأن يكون مع العوام رؤفاً رحيماً صبوراً بعيداً عن الجدل والخلاف
- كذا على المتعلم أن يكون حسن الطباع حسن السلوك حسن الأدب مع أستاذه ويضرب لنا الإمام الشافعي مثلاً من سلوكه في حضرة استاذة الامام مالك رحمه الله فقول: كنت أتصفح الورق بين يدي مالك برفق، لئلا يسمع وقعها

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص وحسن الأدب وأن يعلمنا ما ينفعنا.

كتبه راجي رحمة مولاه

الفقيه د محمد سالم الصعيدي الشافعي الأزهرى

الأستاذ المساعد بالجامع الأزهر الأنور